

اجتهدت بتقديم المؤلفات لأن المكتبة العربية والأجنبية تفتقر إلى مقومات الفن العربي

د. بهنسي لـ «الوطن»: سعيد لأنني قدمت ما قدمته لسورية الوطن والمعرفة لا تخص الجغرافيا وإنما الإنسان

سوسن صيداوي - ت: طارق السعدوني

الأصل دمشقي متجنز نحو ألف عام من التاريخ، سحر شأمة استحوذ، لهذا استوطن في روضتها، لأن الفيحاء في قلبه وفكره هي جنة على الأرض، عشقه للعلم جعله إنساناً مسرفاً في العطاء. في البدء كان تلميذاً للحضارة السورية المنتمية إلى حضارة طورت الإنسان وهي تنطق بحرف الضاد، ثم أصبح شاهداً عليها، ثم فاعلاً في ركائزها التي طورت الحياة. إنه الدكتور عفيف بهنسي، رغم التطور الشاقولي المتسارع للحضارة العربية، كان هو أيضاً متسارعاً في العلم والبحث، فشهادته محقة لأنه أبا أن يكتب حتى ولو كلمة واحدة من مصدر، بل بحث واكتشف ونبش في عمق العلوم بهمة عالية، وهدف كبير، وشعور بالمسؤولية. الوطن المقت بالباحث والمؤرخ السوري الدكتور عفيف بهنسي الذي تحدث في حوارِه عن أهمية مؤلفاته التي ستبقى وتثير عقول كل من ينشد البحث والعلم، متوقفاً عند نقاط متنوعة وكثيرة في حياته وفي مؤلفاته وفي علومه... وإليك الحوار:

قدمت مصطلحات عربية لمصطلحات أجنبية كانت الأقطار العربية تختلف في تفسيرها وحتى في تأويلها



الخليج أو في الدول العربية في محاولة جادة جداً لأبنية وعمارات تعبر عن سمات لها علاقة إما بالطبيعة وإما بالجغرافيا، وإما بطبيعة الإنسان، ولكن في الوقت نفسه أنا تقدمت عملية الاستغراب، فهناك استغراب وهناك استغراب، فنحن لا نستطيع أن نقبل بأن أي مسكن يمكن فقط أن يحقق السكن، أو الإيواء، فكل عمارة لا بد أن تحوي أيضاً، متطلبات الإنسان المعنوية والنفسية والصحية وأيضاً التاريخية فالأمر مرتبط بتقاليد.

• قدمت أكثر من اثنين وثمانين مؤلفاً... منها ما أصبح مقرراً في الجامعات ومنها ما تمت ترجمته إلى لغات أخرى؟

هذا صحيح، قمت بتأليف كم كبير من الكتب بعض هذه الكتب ترجمت إلى اللغات الأجنبية وأصبحت فعلاً مقررة في بعض الجامعات على أساس التعريف في تطور العمارة والمستقبل، العمارة والمعاصرة، العمارة والاستشراق، كل هذه الكتب التي صدرت تحمل هذه العناوين وكانت فعلاً استجابة للباحث الذي يريد أن يعرف ماذا يريد أن يحدث، لأنه كان يحدث تشكل غير طبيعي وتنوع وإبداع، فمثلاً وبخصوص العمارة، أنا أذكر جيداً في دمشق أو في سورية مشاركاتنا بلجان التحكيم للعديد من المسابقات، وإحداها المسابقة كانت حول إنشاء برلمان في سورية بالإضافة إلى البرلمان الحالي. لا يوجد اختصاصي البرلمانات، ولكن يوجد برلمانات في كل دول العالم وهي تحمل هوية دولها، فمثلاً البرلمان البريطاني هو رمز لبريطانيا كلها، لذلك أردت أن أقول ونحن نطلع على الأعمال في المسابقة، إننا نريد أن نعرف إلى أي مدى سيكون هذا المبني شعاراً لهوية معينة اسمها الهوية المعمارية والهوية المدنية، بشكل عام كل هذا حاولنا أن نغطيه في عدد من المؤلفات التي ترجم بعضها وما زالت سائدة حتى الآن.

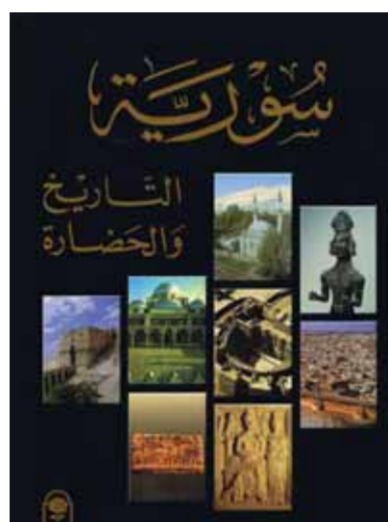
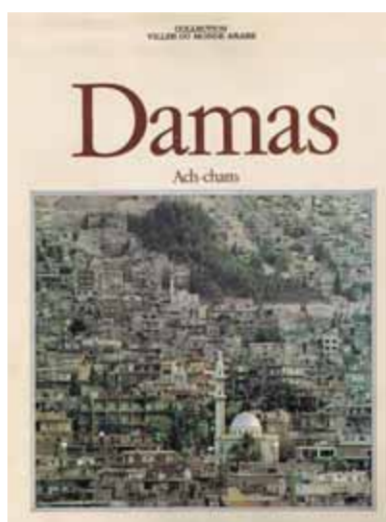
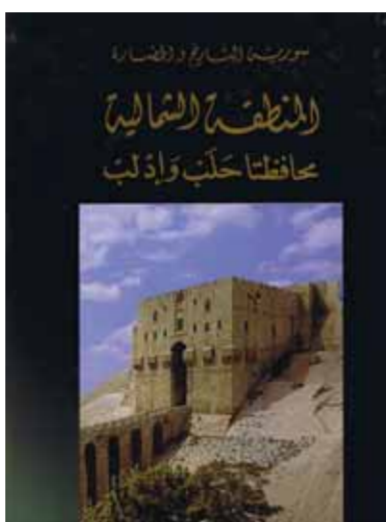
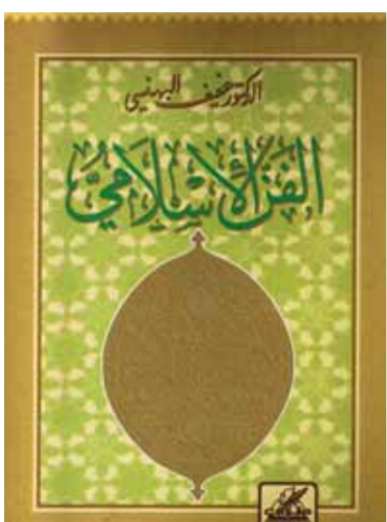
• أيضاً جميلة العمارة تعنيك كثيراً، فالعمارة لا أت لأ تراها مجرد وسيلة للسكن؟

طبعاً... كما استهوا في تاريخ الفن، العمارة، وقمت بتأليف ما يقرب من خمسة عشر كتاباً، وبالغنى العمارة ليست وسيلة للسكن، هي فعلاً الوعاء الذي يستوعب كل مجالات الإبداع، هذا عدا أن هناك فرصة لتحسين حياة الإنسان وتحقيق طموحاته بأن يعيش في بيئة هادئة وساكنة، وأيضاً بأن يعيش في جنة، وقت إن المسكن هو فردوس صاحبه، وهذه الجنة لا يمكن أن تكون إلا بالبخاريف والكتابات وحتى بالأثاث، كل ذلك استطعت أن أقدمه، وتبين لي أن العمارة العربية الإسلامية أيضاً أصلية ويمكن أن تتعرف عليها وأن نبين تطورها وارتباطها بالطبيعة التي نعيشها، فهناك الطبيعة العامة من مناخ وطقس، وهناك طبيعة الإنسان، والأخير بطبيعته روحاني، لذلك البيت مفتوح من فناءه نحو السماء، كي يعيش المرء في سكون وهدوء بعيداً عن الناس وحتى عن عوامل الطبيعة من تبدل الطقس، فلسفة العمارة قدمتها بشكل مستقل ولكنني قلت إن العمارة تتطور بشكل عام، فخلال القرنين الآخرين في العالم، تبدلت العمارة، لم تعد عمارة تقليدية مكررة مثل العمارة الكلاسيكية، بل أصبح هناك طرز مختلفة وبالتالي وظائف مختلفة، يعني لا يمكن أن يكون هناك عمارة للمستشفى مثل العمارة للمدرسة لذلك اختلفت العمارات، ووجدت فعلاً أن شيئاً جديداً حصل أو هو عملية الاستشراق، ووجدت أن الغرب يبحث فعلاً أكثر من المواطن الشرقي عن طابع يعبر عن بيئة تختلف عن بيئته، وهذا ما يمكن رؤيته من عمارات في دول

• في أثناء عملك في مديرية الآثار والمتاحف... قمت بتأسيس العديد من المتاحف في المحافظات، هل المتاحف كافية لحماية الموروث التراثي لدينا؟

من خلال عملي في الآثار والمتاحف كنت أعتبر أن المتحف ليس مخزناً للآثار بل هو حاضر للتراث وحاضر للإبداعات وأن ما تم اكتشافه يجب أن يكون له محل لائق فاقمت في كل المحافظات متاحف، وهذا أمر أنا أعتقد أن له أهمية بالغة، لأن ما نملكه من تراث يجعلنا نفتخر، صحيح أنه لا يوجد على أرضنا إرثات أو أبو الهول، ولكن يوجد تنوع رهيب جداً، ولذلك في كل متحف في كل محافظة نملك من التنوع ما يجعلنا عرضة لاهتمام العلماء في العالم.

أنا اليوم أشعر بالراحة لأن القائمين على الآثار والمتاحف أصبحوا يدركون أن مديرية الآثار ليست مديرية عادية وأنها فعلاً مركز أبحاث وهي مركز تعريف بحضارة تاريخ هذا القطر، وهنا أريد أن أقول إننا جزء من الحضارة العربية ونحن نشارك بهم الحضارة العربية ولا شك بأننا نضطد اليوم بآفة السلفية والإرهاب الذي أراد أن ينتقم من العلم من المعرفة ومن التراث، فانا لا نستطيع أن أجد ماذا يريد هؤلاء عندما يقضون روائع التراث التي تثبت عظمة التاريخ وعظمة الإنسان، فهي ليست عبادة الصنم إنما هي أعمال قام بها إنسان عبقري، فلوحة الجوكندا مثلاً فرنسا كلها تتبع نفسها لا تبعها، وأنا أتالم كيف أرى في تدمير الأعمال التي قمنا بإعادتها وإباحتها كيف أصبحت الآن أنقاضاً، ولكنني أؤكد أن زمامنا العاملين في الآثار هم قادرون على إعادة البناء وتقويم هذه العمليات التخريبية، وأنا نستطيع أن نحقق رسالتنا على الرغم من كل هذه الهجمات الهيجية.



عندما أتحدث عن العروبة لا أتحدث عن عصبية بل عن لغة الناس يتكلمون لغة الأرض ويحز في النفس أننا لم نحقق ما تتطلبه اللغة

القديم، حاولنا نبشها كي تأخذ مكانها الصحيح مقابل مكان المصطلح الجديد في مجال الفن خاصة وفي مجال علم الجمال حيث أصبح هناك مصطلحات، يستعيرها كاتب الموسيقى وكاتب الأدب والكاتب في علم البيان وإلى ما هنالك. إذا استطعت فعلاً أن أقدم مصطلحاً عربياً جيداً لمصطلح أجنبي كانت الأقطار العربية تختلف في تفسيره وحتى في تأويله، هذه الأمور تعني جداً وكانت بالنسبة لمؤلفاتي الأكثر أهمية.

• وأيضاً جميلة العمارة تعنيك كثيراً، فالعمارة لا أت لأ تراها مجرد وسيلة للسكن؟

طبعاً... كما استهوا في تاريخ الفن، العمارة، وقمت بتأليف ما يقرب من خمسة عشر كتاباً، وبالغنى العمارة ليست وسيلة للسكن، هي فعلاً الوعاء الذي يستوعب كل مجالات الإبداع، هذا عدا أن هناك فرصة لتحسين حياة الإنسان وتحقيق طموحاته بأن يعيش في بيئة هادئة وساكنة، وأيضاً بأن يعيش في جنة، وقت إن المسكن هو فردوس صاحبه، وهذه الجنة لا يمكن أن تكون إلا بالبخاريف والكتابات وحتى بالأثاث، كل ذلك استطعت أن أقدمه، وتبين لي أن العمارة العربية الإسلامية أيضاً أصلية ويمكن أن تتعرف عليها وأن نبين تطورها وارتباطها بالطبيعة التي نعيشها، فهناك الطبيعة العامة من مناخ وطقس، وهناك طبيعة الإنسان، والأخير بطبيعته روحاني، لذلك البيت مفتوح من فناءه نحو السماء، كي يعيش المرء في سكون وهدوء بعيداً عن الناس وحتى عن عوامل الطبيعة من تبدل الطقس، فلسفة العمارة قدمتها بشكل مستقل ولكنني قلت إن العمارة تتطور بشكل عام، فخلال القرنين الآخرين في العالم، تبدلت العمارة، لم تعد عمارة تقليدية مكررة مثل العمارة الكلاسيكية، بل أصبح هناك طرز مختلفة وبالتالي وظائف مختلفة، يعني لا يمكن أن يكون هناك عمارة للمستشفى مثل العمارة للمدرسة لذلك اختلفت العمارات، ووجدت فعلاً أن شيئاً جديداً حصل أو هو عملية الاستشراق، ووجدت أن الغرب يبحث فعلاً أكثر من المواطن الشرقي عن طابع يعبر عن بيئة تختلف عن بيئته، وهذا ما يمكن رؤيته من عمارات في دول

القديم، حاولنا نبشها كي تأخذ مكانها الصحيح مقابل مكان المصطلح الجديد في مجال الفن خاصة وفي مجال علم الجمال حيث أصبح هناك مصطلحات، يستعيرها كاتب الموسيقى وكاتب الأدب والكاتب في علم البيان وإلى ما هنالك. إذا استطعت فعلاً أن أقدم مصطلحاً عربياً جيداً لمصطلح أجنبي كانت الأقطار العربية تختلف في تفسيره وحتى في تأويله، هذه الأمور تعني جداً وكانت بالنسبة لمؤلفاتي الأكثر أهمية.

مخصص لمنطقة من مناطق سورية. إذا أنا سعيد لأنني غطيت في صفحات لا حد لها وبكلمات أنا فيها شاهد ومسؤول عما قلته فيها، سواء كان في مجال الجغرافيا أم التاريخ أو الآثار أو الفن، ومن خلال عدد ضخم من الصور، طبعاً صدر هذا الكتاب الذي أصبح سندا لكل إنسان يريد أن يعرف أو يعرف عن سورية حضارة وتاريخاً. أيضاً كلفني المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم أن أقوم بتأليف كتاب جامع بالتراث الأثري، ووجدت أن هذا التراث موجود على الأرض الإسلامية كلها وخارج هذه الأرض الإسلامية، وأن هذا التراث يتمتع بشيء أساسي، هو الوحدة والتنوع، فهو واحد من حيث الهوية والجمالية، وهو متنوع من حيث الوظيفة ومن حيث الشكل، وقدمت هذه الموسوعة في مجلدين ضخمين، تحت عنوان موسوعة التراث المعماري.

• لم تكف بالبحث عن جمالية الفن العربي والخط العربي بل سعيت جادا إلى وضع مصطلحات عربية لمصطلحات أجنبية من خلال المعاجم التي قمت بوضعها وصدر منها واحد من مجمع اللغة العربية؟

قدمت عدداً من المعاجم التي كانت بداية تحريكي، فمُنذ عام ١٩٧٠ كلفني مجمع اللغة العربية بدمشق، بتقديم معجم مصطلحات الفن ثلاثي اللغات، وكان هذا المعجم هو فاتحة لمعاجم صدرت في مكتبة لبنان باللغة الفرنسية والإنكليزية، هذه المكتبة مهتمة جداً وكانت أصدرت أكثر من ألف معجم، الشيء الجديد الذي كلف به، هو معجم فريد من نوعه هو معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، إذ يتضمن معاني المصطلحات التي ورتت على لسان الخطاطين أو التي تخص تقنيات الخط، إضافة إلى لمحات تعريفية بالخطاطين المسلمين الأكثر شهرة، والأكثر حضوراً في تاريخ الخط العربي، وهذا معجم لم يسبق أن قر به أي عربي، فأخضع يعبر عن عقريّة العربي الإبداعية التشكيلية، هذا النوع من المؤلفات يأخذ وقتاً طويلاً لتحضيره ويحمل مسؤولية لواضعه، لأن كلمة مصطلح تتطلب من البحث في المعاجم القديمة من تعريف لهذا المصطلح بالأجنبي، واللغة العربية غنية جداً والكلمات والمصطلحات مدقوقة في الكتب

اجتهدت أن أقدم ما يسمى علم جمال الخط العربي، علم جمال العمارة العربية، علم جمال الصورة العربية، كان ذلك من خلال الكتب، وليس من خلال مقالات، وهذا الكتاب تطور ونما وأصبح مجموعة كتب. ليس بيني كتابي إلا ما هو تأسيسي في الفكر القومي من جهة، والفكر الجمالي من جهة ثانية، أنا أعز ببلدي أولاً أبدأ بعائلتي قلت إنني أنا إنسان أعيش قبل ألف عام، وإنني من الإشراف وإلى ما هنالك، ثم ابتداءً ببدي دمشق، وكنت عن دمشق، وهو كتاب مازلت أعز به، هذه الفيحاء، هي الجنة التي نعيش عليها الآن. عمرانياً، والكتاب طبع عدة مرات عن دار الفكر وأنا أعز بهذا الكتاب، وسابقاً كلفني اليونسكو أن أولف كتاباً عن دمشق وصر في أكثر من ذلك إلى اللجوء إلى الموسوعات، أنا أعز بموسوعة سورية تاريخ الحضارة، عندما أردت وأنا مسؤول بالآثار والمتاحف، كنت أعرف أن هناك أكثر من خمسة آلاف موقع أثري، وهناك مدن وعمارات ومنشآت وهناك دراسات كنت اطلعت عليها، فقلت لا بد أن أكتب عن تاريخ سورية، وطلبت من علماء الآثار الذين يعملون في سورية ومن علماء أبحاث المساعدة، واستطاعوا أن يعرفوا جيداً تاريخ هذه المنطقة وحضارتها وبالوقت نفسه طلبت من أساتذة التاريخ الإسلامي، وطلبت من علماء الآثار الأجانب، أن يكتبوا تاريخ سورية بدءاً من العصر النقص مازالت حتى اليوم تبحث في هذا الموضوع، ولحسن الحظ إن الدولة أرادت فجأة أن تسد هذا النقص برعاية الوزير قاسم مقداد الذي استلم وزارة السياحة، وقال إن في سورية في وزارة السياحة ليس هناك من مرجع أساسي، وطلب مني أن أتابع أنا هذا الموضوع، طبعاً رحبت بهذه الفكرة، وقتل لم يبالغ إن هذا المشروع هو مشروع، وبداناً بهذا المشروع وأنا سعيد بأنني أكملت على أكمل وجه، وروعي فيه الطباعة الجيدة، وكان قسم إلى ثمانية مجلدات، كل مجلد

نريد أن نؤكد للعالم أن العروبة ليست عبارة عن موقف بل العروبة هي أصالة.

• علم جمال الفن العربي وفلسفته، الفن الإسلامي المتجنز في الحضارة العربية الذي نشط الحركة الفنية العربية، إضافة إلى التراث الإنساني، كلها فنون احتوتها الحضارة بمراحلها واستهوتت خلال مشاريع بحثك؟

صحيح، والمشروع الآخر الذي أريد أن أتحدث عنه فيما يتعلق بالفن الذي استهوا في، كفن وجدت الفن العربي والإسلامي، وجدته فناً قاصماً بحد ذاته ويعتمد على جمالية معينة، وقتل إنه يوجد ما يسمى علم الجمال، ووجدت أنه لا بد عندما كنت في السوربون أن أبحث في هذا الموضوع بعلم فلسفة الجمال العربي، ووصلت إلى مدى ذي أهمية بالغة في هذا الموضوع، وبيئت أن هذا الفن لم يكن زخرفة ولم يكن عمارة، ولم يكن لعباً ولم يكن تعبيراً عن الجمال، بل كان إبداعاً، إبداعاً لصنع ليس بالضرورة أن تكون منحصنة بل يمكن أن تكون مطلقة، لأننا نحن نؤمن بالفكر المطلقة أكثر مما نؤمن بالفكر النسبية، فالنفسى قابل بأن يصل إلى حد يصل فيه جامداً، على حين المطبق يبقى مستمرا، تحدثت في ذلك وأعتقد أنني وصلت إلى حدود يستطيع غيري أن يتابعها، كي تصل معاً إلى ما يمكن أن نسميه فلسفة الجمال العربي، لذلك اجتهدت بأن أقدم عدداً من المؤلفات لأن المكتبة العربية وحتى الأجنبية ما زالت تفتقر إلى مقومات الفن العربي، قلت إنني قدمت ما قدمته لهذا الإنسان العربي لكي يعرف إلى أي مدى هو راسخ في التاريخ، وهو ضالغ في تقديم كل أوراق ووسائل الحضارة، ولكن اليوم أنا أردت أن أبين للعالم أن هناك جماليات، هناك المطلق عبور نحو الحضارة وما تتكناه من أسرار... حدثنا عما أضافته إليك في مسيرتك المعرفية العلمية؟

لا أريد أن أتحدث عن يوميياتي بقدر ما أريد أن أتحدث عن اللغات التي كنت فيها أسجل إنجازات تمت في نطاق عملي الذي أحببته دائماً، قلت دائماً الإنسان يستطيع أن ينجح، عندما يختار العمل الذي يحبه وعندما يختار المهنة التي يحبها والتي يستطيع أن يبدع فيها، عملي الوظيفي، أنا لم يكن عملي الوظيفي مهنة، بل كان مسؤولية وكان رسالة وكان مشروعاً، وضعت في البداية لنفسى مشروعاً، هذا المشروع يتضمن أن أكون متحدثاً بهذه جماليات غربية وجماليات هندية وأخرى إفريقية وغيرها من الجماليات، وعندما تحدثت عن الفن الإسلامي، تقول إنه مرحلة من مراحل تطور الفن العربي، لأن الفن ما قبل الإسلام كان أيضاً عربياً، وبعد الإسلام كان أيضاً عربياً، ولكن أعترف بأنه في الفترة الإسلامية نشط وزدهر، وأصبح له مكانة مع العمارة والمخطوطات، والخط العربي هذا الأخير الذي هو عقريّة إبداعية تشكيلية، له أهمية لا تراها في الخطوط الأخرى، لذلك



د. بهنسي مع الزميلة سوسن صيداوي